الشابشتي

صاحب كتاب الديارات

— ٢ —

بقلم : الاستاذ عبد الحميد الدجيلي

٤ — كتاب الديارات للشابشتي

ان الذي بقي لدينا من المؤلفات الخاصة بالأديرة هو كتاب الشابشتي الوحيد اذ قد ضاعت تلك الكتب التي كانت صفحة من صفحات الأدب العربي والترف العربي والظرف العربي والتاريخ العربي . مضافا الى ان هذه النسخة الوحيدة التي تملكها مكتبة برلين وكتبت عليها نسخة دار الكتب المصرية ونقلت نسخة منها لدار المعلمين العالية في بغداد هي ناقصة الأول أي ناقصة جملة من مباحث اديرة العراق وغيره والكتاب كما يقول ابن خلكان (على نمط الأديرة للخالديين) والمؤلف حسبما يظهر لنا من كتابه ضعيف التنوع في ديباجة البحث فهو غالباً يصب قالب البحث واوله على اسلوب متقارب ونمط متشابه فالأديرة عنده كلها متنزه لطيف ومجالس انس حسنة وعربدة وسكر واشجار وازهار . والكتاب يكاد يكون خصص لتراجم الشعراء والكتاب اكثر منه بوصف الأديرة فهو يصف لك الدير على النمط الذي قربناه لذهنك ثم يأخذ في نقل القطع الشعرية التي قالها الشعراء الزائرون له ثم يخرج عن ذلك الى نقل قطع وقصائد وترجمة لهؤلاء الشعراء والكتاب والوزراء والخلفاء اما وصف بناية تلك الاديرة وكيفية معيشة اولئك القسس وموارد الصرف على اولئك والى أي فرقة مسيحية تنتمي تلك الأديرة والاعمار فهذا ما لا يوجد في هذا الكتاب . ولكن الحق انه نقل لنا تراجم ادباء وشعراء لم نجدها في أي مؤلف غيره . وفي الكتاب بحث مهم عن اديرة الكوفة يظهر منه ان هذه المنطقة التي تحف بها القصور من الحيرة حتى الكوفة والجسر كانت عامرة بالرهبان والأديرة والقصور والازهار والاشجار والحانات ودور الضيافة وما الى ذلك من مزروعات عظيمة . وكانت تلك العمارات باقية حتى اواسط العصر العباسي ولا شك ان كل ما نقله هذا المؤلف صحيح لا ريب فيه اذ قد كان حتى اوائل العصر العباسي نهر سابور الذي تروي مياهه ما بين النجف والرحبة جارياً وحوله البساتين وعليه مدينة القادسية التي وقعت الحرب فيها بين المسلمين والفرس مضافا الى شعب اخرى وانهر صغيرة كانت هناك حول الحيرة وبحيرة النجف . وكذلك نقل لنا المؤلف جملة من اديرة مصر بصورة واضحة لانه كان قد رحل من العراق الى مصر ووظف هناك كما قلنا سابقاً وبقي في مصر حتى توفي في زمن الحاكم . وكذلك في الكتاب قطع شعرية كثيرة لأدباء وشعراء لا توجد في غيره كالصنوبري وابن حمدون النديم الكاتب وخالد بن يزيد الكاتب ومحمد بن ابي امية الكاتب والحسين بن الضحاك وابي نواس وابي الطيب محمد بن القاسم النميري وابن المعتز وابن دهقان الهاشمي وابن الشبل البرجي وابن ابي فنن وابن الخباز وابن ابي طالب المكفوف الواسطي وابن جمهور القمي وابن عبدون والبحتري وابن مصعب وغيرهم .

٥ — جملة من وصف الأديرة ونحو ما ذكره الشابشتي

١ — قال في وصف ديرة النجف والحيرة (ديرسرجس) هذا الدير كان بطير ناباذ بين الكوفة والقادسية على ساقة الطريق وعلى ميل من القادسية وكانت ارضه محفوفة بالكروم والشجر والحانات وكانت احدى البقاع المقصودة والنزه الموصوفة وقد خربت الآن وبطلت وتهدمت ابارها ولم يبق إلا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق يسميه الناس مقصرة ابي نواس . ولابي نواس فيها : قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم الخ . . . » (ديارات الأساقفة) : هذه الديارات بالنجف بظاهر الكوفة وهو اول الحيرة وهي قباب وقصور تسمى ديارات الاساقفة وبحضرتها نهر يعرف بالنذير عن يمينه قصر ابي الخصيب مولى ابي جعفر وعن شماله السدير وبين ذلك الديارات وقصر ابي الخصيب هذا احد متنزهات الدنيا وهو مشرف على النجف .. والسدير قصر عظيم .. وما بقي الآن منه فهو ديارات وبيع للنصارى . ولعلي ابن الحماني العلوي يذكر هذا الموضع:

كم موقف لك بالخورنق لا يوازى بالمواقف
بين النذير الى السدير الى ديارات الأساقف

فمدارج الرهبان في اطار خائفة وخائف

الى آخر الشعر الكثير على عادة المؤلف في توسعه بنقل شعر كثير لكل شاعر يذكره . ثم يقول الشابشتي « ومن هذه الابنية المسقفات قصر فيه ازاج مستطيلة مسقفة شرقي الحيرة على طريق الحاج ثم كوة البقال ثم قصر القديسين ثم قصر الابيض ثم قصر بني نفيلة وهو لعبد المسيح بن نفيلة الغساني ومن بعده دار عون . وهي ما يلي النجف . فهذه قصور الحيرة الباقية الآن »

(قبة السنيق) هي من الابنية القديمة في الحيرة على طريق الحاج وبأزائها قباب يقال لها الشكورة جميعها للنصارى فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة في احسن زي عليهم الصلبان بأيديهم المجامر ... يقدسون ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين واهل البطالة الى ان يبلغوا قبة السنيق فيطربون ويتعبدون ثم يعودون بمثل تلك الحال فهو منظر مليح ولبكر ابن خارجة في ذلك الخ . الشعر ثم يقول : وبكر هذا من اهل الكوفة وكان من المنهمكين في الخمر والمشتهرين بالتطارح في الحانات والديارات وكان اكثر شعره في ذلك .

والمؤلف لا يقتصر على ذكره هذه الاديرة بل يذكر دير هند بالحيرة في عدة صفحات وكذلك دير زرارة وغيره من اديرة الحيرة .

٢ ــ وللمؤلف وصف كثير في اديرة العراق كبغداد والموصل وكسكر وتكريت وعانه وسامراء وغيرها ويظهر من الكتاب ان اكثر المدن في العراق كان بجنبها اديرة كبيرة عامرة بالمزروعات ولم نعرف الآن بقايا لتلك الأديرة إلا في ارياف الموصل . واليك ما قال عن [دير السوس] هو دير لطيف على شاطئ دجلة بقادسية سر من رأى وبين القادسية وسر من رأى اربعة فراسخ والمطيرة بينها . وهذه النواحي كلها متنزهات وبساتين وكروم والناس يقصدون هذا الدير ويشربون في بساتينه وهو من مواطن السرور . . وقد بنى المتوكل قصره [الكوارا] في القادسية ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز وجعل اعذاره فيه وكان من احسن ابنية المتوكل وأجلها بلغت النفقة عليه عشرين الف الف درهم « وهنا يتوسع المؤلف في وصف الاعذار وكيفية الصرف والافراح والأفرشة التي فرش بها القصر وما الى ذلك مما يطول عليك لو ذكرته وان كان متعة من متع التاريخ » ثم يقول بعد كل ذلك « وكان الناس يستكثرون ما انفقه الحسن بن سهل في عرس ابنته بوران وقد اتى من دعوة المتوكل ما انسى ذلك والدعوات المشهودة في الاسلام ثلاثة لم يكن مثلها دعوة المتوكل هذه وعرس بوران وعرس زبيدة بنت جعفر ... » وقال في وصف « دير الجاثليق » . وهذا الدير يقرب من باب الحديد في بغداد وهو كبير حسن نزه تحدق فيه البساتين والاشجار والرياحين وهو يوازي دير الثعالب في النزهة والطيب وعمارة الموضع لانها في بقعة واحدة وهو مقصود لا يخلو من المتنزهين وفيه رهبانه وفتياته ومن يألفه من اهل الخلاعة والبطالة وقالت الشعراء فيه ووصفته ولمحمد بن ابي امية الكاتب فيه ؛ وفيه لحن خفيف رمل :

لهفي على قمر في الدير مسجون
في صورة الانس في مكر الشياطين
والله ما ابصرت عيني محاسنه
إلا خرجت له طوعاً من الدين

وهنا يذكر الشابشتي على عادته شعراً كثيراً لهذا الشاعر ثم يقول في آخر ترجمته « كان ابو بكر محمد بن القاسم الانباري يختم امالية في مجالسه بمقطوع من شعر ابن ابي امية هذا استحساناً له واستعذاباً لالفاظه وتقرضه دائما ويصفه . »

يتبع

عبد الحميد الرجيلي

برزت سافرة

للاستاذ الشيخ عبد الغني الخضري

برزت سافرة لم تحتفل بالجماهير وما قيل فضولا
فأرتنا صورة كانت الى قدرة الله على الفن دليلا
من محيا لا ومن صوره لم تجد حتى له البدر مثيلا
ولحاظ اين من ضربتها ضربة السيف وان كان صقيلا
وفم يشفي لماه كل من بات من داء الهوى مضني عليلا
وقوام تخذته صعدة للذي قد رام منها المستحيلا
انها لله كانت وحدها آية ترشد من ضل السبيلا
فلماذا بعدما ابدعها بعث الله الى الناس رسولا